الإبداعية في مجموعة "أباطيل" للدكتورة هدى النعيمي

رجينة . ط . ك[1]

د. ي . سيد علوي[2]

المجموعة القصصية "أباطيل" ثالث مجموعة قصصية للدكتورة هدى النعيمي تفترض حضورا نصيا يستقل عن التركيب المجتمعي بماهية أدبية ونسيج متفرد . وقد تختص من المجموعتين السابقتين لها في اختلاف علاقتها السردية بالمكان والأشياء عن فضائهما . وشكلت فيها عتبة الدهشة والإغواء بما يبثه من إشعاعات دلالية لتكشف عن الواقع الصادم من خلال رؤيتها الإبداعي .

والدكتورة هدى محمد عبد اللطيف النعيمي التي ولدت في سنة 1968م شخصية ادبية علمية ،ومبدعة القصة القطرية، ومعروفة في الأوساط الأدبية كإحدى رائدات كتابة القصة القصيرة في قطر ومناطق الخليج وناقدة معاصرة في الأدب العربي. انها الأديبة التي جمعت ما بين عالم الفيزياء وروح المبدع . واشتغلت في كثير من الأعمال الثقافية والأدبية في قطر ومناطق الخليج. وهي مديرة لإدارة السلامة والصحة المهنية في مؤسسة حمد الطبية بدوحة حتى رفعت مكانتها عند القطريين اليوم في عملها بالحصول على الميدالية الذهبية في الصحة العامة في قطر من المعهد الدولي للهندسة والفيزياء الطبية في بريطانيا . [3]

وقد لعبت دورا فعالا في قصص القطرية بمجموعات قصصها الأربعة : المكحلة ،أنثى ،أباطيل ،حالة تشبهنا . وأن قصصها في الحقيقة حكاية مثيرة حكاية الكتابة الابداعية ,وتنتمي شخصيات قصصها التي تضج بالأفكار والرموز والرؤية الى مختلف طبقات المجتمع .ولكل شخصية مأروقها الوجودي وإشكالها الذي يتعقد بتعقد اللحظة التي تعيش في كنفها . وقصصها كلها تتميز بفنيات عالية ووعي حاد بالإشكال الذي يعيشه كل من الرجل والمرأة في هذه المجتمعات . أما لغتها فنرى بين قصة وأخرى ومن تجربة الى تجربة ثانية يلمس القارئ تطورا ملحوظا في اللغة وفى القدرة على إدارة السرد بسلاسة ورسم ملامح الشخصية بدقة .

وقد اشتهرت أيضا كناقدة معاصرة في الأدب العربي ,فقد اشتهرت فيه بكتابها الوحيد "عين ترى، قراءات في الشعر والسرد والمسرح" . توزعها الكاتبة على موضوع الشعر والقصة

---

[1] باحثة ، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها ،كلية فاروق ،كاليكوت

[2] مشرف البحث ، وعميد كلية مليبار للدراسات العليا ،بونغارا ،ملابرم

4 -د. حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث ،ص:604.

والأدب النسائي والمسرح كظواهر فنية وثقافية وفكرية عربية . وبعد ذلك أنها أكدت قدرتها في المسرحية , وقد كتبت مسرحية للأطفال "النبع الذهبي والأخيار الثلاثة" جديدا في سنة 2013.[4]

الإبداعية في مجموعة "أباطيل

قبل أن ندخل إلى محاور القصص وبحثها ننظر الى ما هو الإبداع؟ وما المراد به في الأدب ؟ وكيف نعرفه فيه بأقوال الأدباء المشهورين . عرفه الفيلسوف الأمريكي برونر بأنه :" العمل أو الفعل الذي يؤدي إلى الدهشة والإعجاب "

وعرفه الأديبة والناقدة فاطمة الشيدي هو: " عملية ترجع في الحقيقة إلى عملية واعية يقصد إليها الشاعر ، وهي نتاج عملية بين الذات وموضوعها .والإبداع أيضا مبادرة يبديها الفرد ،تتمثل في قدرته على التخلص من السياق العادي للتفكير وإتباع نمط جديد من التفكير ."

عرفه الأستاذ أحمد المثنى ابو شكير :"الإبداع عملية ذهنية واعية قوامها مجموعة من البني الفنية واللغوية والتي تسهم في توليد الجديد من النصوص ،فيأتي النص الجديد ليختزن خلاصة التجربة الإبداعية للمبدع الذي أنتج هذا النص ،ويصبح هذا النتاج اللغوي والمعنوي من ملاكه الفكري الخاص . "

عرفه الفني الأمريكي بارتلت للإبداع في الإنجليزية creativity . وأنه "التفكير المغامر الذي يتميز بترك الطريق المرسوم مسابقا والتخلص من القوالب المصاغة ،والإقبال على التجربة ،وإتاحة الفرصة للشيء لكي يؤدي إلى غيره ". [5]

فإذا الإبداع في الأدب هو القدرة على تكوين أبنية ومعاني وأساليب جديدة في الأدب بتفكير عميق . فمجموعة "أباطيل " بهذه المعاني كلها قصص إبداعية حقا وهي عبارات ذاتية عن تجليات فكرية واجتماعية في قسوة الواقع وصداميته في تشكيل لغوي شاعري جديد ، وكلها أزمة ذاتية من عندها في إطار الأحداث الغرائبية والكابوسية . والقاصة حاولت في هذه المجموعة التي صدرت في عام 2001م من الدار المصرية اللبنانية بثلاث عشرة قصة نبذ استخدام اللغة التقليدية والأشكال والتقاليد القصصية فيما يتصل بالعناصر التقليدية من شخوص واحداث وحبكة ولحظة تنوير . بل ترتبت على اقتراب القصة القصيرة من الشعرية ونزعت إلى جهة التعالي على الواقع وسعت الى الالتصاق بجوهر الأدب ومؤثراته وخواصه . كما

---

[4]-عبد المجيد تي ، أديبات عربيات معاصرات ، ص 64

[5] https://mawdoo3.com ، ارجع الى تاريخ 2018/03/26

بينت القاصة القطرية نورة آل سعد "كانت القصة القصيرة عبارة عن مساحة من التجليات والإيحاءات والانزياحات من الخارج إلى الداخل توغلا الى مغاور النفس ودهاليز اللاوعي ولكن ضمن بناء يمكن تعقله وتصوره وتأويله بدلالات فكرية واجتماعية .انها تعاود التعبير في كل قصة عن وعي الذات الفردية بنفسها ورغبتها في الحضور .ومع ذلك فإننا نواجه في هذه القصص عالما زاخرا بالحياة التي تمتزج فيها الحقائق بالخوارق ,ويتداخل المعقول مع غير المعقول ,كما يتشابك المنطق الصارم مع جموح الخيال على نحو ما في أعمال الكاتب السوري زكريا تامر" .[6]

الإبداعية من ناحية الأبنية والأساليب

نرى في هذه المجموعة إبداعية من حيث الأبنية والمعاني والأساليب ، أولا تظهر الإبداعية في اللغة ،وفيها شعرية اللغة بصرامة الجمل القصيرة وإيقاع الأقاصيص وأحيانا نرى فخامة ورخامة في الألفاظ والتراكيب كما في قصة (دامس والعزباء) ،وتارة أخرى نرى الترميز والمجاز ولغة الحلم والرؤي والأشكال العجيبة والتكثيف الدلالي للغة وأنواع البلاغة من تشبيهات واستعارات والتطعيم بمفردات قرآنية والجناس والقافية كما في قصة (بعد الألفية الأولى) ،ومرة نرى أيضا بإعادة قراءة للتاريخ وإعادة إنتاج للأفكار وصياغة للغة وإبداع للقصص والشخصيات والتقاليد كما في (ليلى وأنا) و(شخبطة على جدار التاريخ) ، وهكذا إن البنية اللغوية والأساليب عند قاصتنا هدى النعيمي لغة مولدة موحية وذات ملامح جمالية تستحث الانفعالات وتستدعي الذاكرة وتحقق وعينا بالنص ودلالاته .

وعنوان المجموعة أيضا له خصوصية ، وليس هذا عنوان لإحدى قصص المجموعة بل أنه وعاء الذي يتركز كل قصص منها عليه ويعبر عن معناه بحدة ، ولكل منها بنية مستقلة وفكرة محورية . فالقاصة اختارت عنوانها وفق أعجب ما فيها وأكثرها تكثيفا وشهرة ليوحي للقارئ بما فيه . وهذا العنوان تعبير محدود أيضا عن كل قصصها وفكرة محورية تشير الى مجملها واشارة محدد الى تلخيصها . والى ذلك أشارت قول القاصة نورة آل سعد "ترى ما الاباطيل التي عنتها القاصة لا سيما انه لا توجد قصة بهذا العنوان داخل المجموعة ! أهي اباطيل وأوهام تعيشها الذات وتخلقها في المجموعة أم انه ذلك العالم الخارجي الذي سيتلقفها". [7] فإذن تترك الى نفس القارئ سؤال واحد وهي ماذا تريد بأباطيل فيها ؟ ، أهي أباطيل وأوهام التي تعيشها الذات أم أنه ذلك العالم الخارجي الذي سيتلقفها؟،فنرى أن المراد به كليهما لأن القاصة حاولت بذاتها المخذولة للخروج من عزلتها والانفكاك من قيودها الى العالم الخارجي. أما

---

[6] Nouraalsaad.blogspot.com ، ارجع الى تاريخ 2010/10/30

[7] المرجع السابق

معناها اللفظي فجاء العنوان في كلمة مفردة ،في صيغة الجمع "أفاعيل" " لأبطولة ،" وباطل"، وهي صيغة منتهى الجموع ، يدل على التكثير والمبالغة ليدل على كل أشكال الباطل ، وكل عبث وغرور ، فأباطيل هي الأمور التي لا ثبات لها أو لا خير فيها . [8]

وعنوان القصص أيضا يحتمل معنى مجازيا ورؤية منها ، مثلا القصة الأولى "الظل يحترق" هو عنوان لسؤال الذات الثائرة على قوانين متحكمة في مصير الإنساني العربية الذي ظلت تهيمن عليه الأعراف والتقاليد الباطلة . و فيها إشارة إلى الخلفية الاجتماعية ، وتريد أن تسأل "كيف يعيش المرء حياته دون أن يشعر بهذه الأخطار الباطلة . فاختارت هذا لتظهير رؤيتها ضد التقاليد والأعراف لأن الظل هو أقوى أشكال الخلفيات وأشدها ملازمة لنا ، فهو الرفيق الصامت . والاحتراق هو إشارة الى التغيير لأن كلمة (يحترق) في الزمن المضارع تدل على سيرورته ،فالتغيير في قوانين الأعراف لا يكون سريعا ، بل قد يحتاج الى وقت طويل جدا . وعلى هذا إشارتها " الظل الذي كان يجاوره على المقعد ، كان أسود داكنا ، وخشنا ، وله أنياب حادة ونظرات شرسة ، لم يتعود من ظله أن يكون بهذا الجفاف والقسوة ....." [9]

ومثل هذا نرى أيضا الذات في قصصها تأتي بضمير(أنا)المتكلم ،وهي أيضا من ابداعيتها لأنها ترسم عن روح فردية معذبة تعاني المراقبة والملاحقة والقمع والحرمان ، وأن الذات تنقل الى التمرد على الواقع واللغة والماضي محاولة الخروج من معتقداتها ، وتخلق عالما مليئا برموز وأباطيل باستخدام لغة شفيفة وتراكيب جديدة . وبهذا الأسلوب الممتاز منها تواجه فيها بنية اجتماعية معقدة صارمة وتحاول بهذا الأسلوب تفكيكها وتحليلها ، فإذن نرى أن هذا النمط ملائم لإرادتها ، وبغيره من الأنماط صارت عاجزة عن تغيير هذه البنية الاجتماعية وتبديلها؟ ويستطيع أن يتأكد هذا بقول القاصة القطرية نورة آل سعد "إن القصة القصيرة عند الدكتورة هدى النعيمي لا تعبر فحسب عن انهيار الواقع ولكن تحاول تعريته وتمعن في تحطيمه بدورها وعلى نحو شرس ومتعمد برغم أنها ذات مخذولة إلا أنها متمردة وجامحة وعازمة على الخروج من عزلتها والانفكاك من قيودها "[10]

أما من حيث الشخصيات فهي اختارت من قاع المجتمع وقمته، وأخذت أحيانا من حياتها كما في (اكروبات)و(في الحفرة) ، وتارة اقتبست من قراءة للتاريخ مثل في (ليلى وأنا) و(شخبطة على جدار التاريخ) . ولاختيار الشخصيات والحوار فيها دور فعال للتحول القصة

---

[8] مجلة أنساق / لمحصر وردة /المجلد الثاني يونيو 2018م / كلية الآداب والعلوم ،جامعة قطر / ص 48

[9] هدى النعيمي / أباطيل / ص 9

[10] Nouraalsaad.blogspot .com ، ارجع الى تاريخ 2010/10/30

القصيرة الحداثية الى نص يسعى الى الانغلاق على ذاته في مبنى فني يعتمد على التشكيل اللغوي . فصارت النص بنية دلالية مستقلة بذاتها في أنساق مختلفة معرفية واجتماعية ونفسية وشكلانية حتى صارت جذابا وتفاعلا.

ومن ميزات أسلوبها أيضا "التناص" في بعض من قصصها .ظهر الفكر النقدي "التناص" في السنوات الستين من القرن العشرين ، والمراد به تبيان الدعوى القائلة بأن كل نص يمكن قراءته على أساس أنه فضاء لتسرب وتحول واحد أو أكثر من النصوص في نصوص أخرى . وبعض القصص من هذه المجموعة استند إلى التفاعل مع مرجع سابق . وهي في أربع قصص هي" الظل يحترق" ، "بعد الالفية الأولى" ،"شخبطة على جدار التاريخ" ،و"دامس والعزباء" . مثلا ننظر إلى قصة "بعد الألفية الأولى " لفهم هذا التناص جيدا . ونرى فيها نمط النفي المتوازي الذي يرتبط فيه النص بمرجعه عبر فعالية تحويلية لا تمس الأساس المعنوي المشترك . وهذه القصة نرى علاقة البنية النصية بشكل بارز مع المرجع في البنية والموضوع والأجواء . وترجع إلى قصة ألف ليلة وليلة بحضور الشخصيات الرئيسية "شهرزاد –شهريار" بالتحول فيها ، واحتلت شهرزاد بالمركز الذي يمثل السلطة وانقلبت وظيفة شهريار إلى زوج مغلوب على أمره يطمع بعفو ملكته .وأخيرا تطلب شهرزاد الطلاق منه ، ويشترك كلا النصين في وحدة المصير وذلك برفض شهريار الطلاق وقبول شهرزاد العودة أليه . [11]

ونمكن أن نرجع الى علاقة تناصية بين نصين كما في الآتي :

النص : ألف ليلة وليلة / بعد الألفية الأولى ، الفاعل : شهريار / شهرزاد ، والمتأثر بفاعلية : شهرزاد / شهريار ، والفعل : الزواج ثم القتل / السجن ثم الطلاق ، والمصير : العفو / العفو ، الوساطة للتخلص من الموت أو طريقة الإنقاذ : رواية الحكاية / رفض الطلاق .

من ناحية المعاني

لا تكتسب الأبنية والأساليب فقط في القصة القيمة والجمالية ولكن تتم بمحورية معنوية مهمة ، فقصصها في هذه المجموعة تدور حول معاني أساسية التي لها اهتمام في دولتها . ومنها أولا ترصد فيها تعرية العلاقات الإنسانية في الأسرة بالذات باعتبارها صورة للمجتمع الكبير، وقامت باقتحام المغاور في اللاوعي وتدمير الحدث واعلان الحرب على السائد والمقبول والغالب مثل ما نرى بين الأم والابنة في قصتي (اكروبات) و (ليلى وأنا) والأب وابنه في قصة (في الحفرة) والصبي وأبويه في (ستفعلون) ، وأحيانا تسبب هذه العلاقات الاسرية الى

[11] www.startimes.com ، ارجع الى تاريخ 2008/06/17

استلاب حرية الفرد وحرمانه من الإشباع والحضور كما في قصة (اكروبات)، (شخبطة على جدار التاريخ) ، (الظل يحترق) و (العدالة)، وتبين في قصة (اكروبات) صورة التسلط وبرودة الحياة الروتينية التي تضبط حياة الشخصية وفق أوامر الأم وزوجها " تتلو أمامي صلاتها الصباحية – لا تمسكي سماعة الهاتف لا تفتحي الباب .. لا تفتحي التلفزيون أو الراديو لا تفتحي الشباك ..)56 . وتهدف القاصة بها الى خلخلة البنى التقليدية وكشف سوءات المجتمع ممثلا في العلاقات الأسرية الابوية ذات الطابع البطريركي المستبد .وثانيا اختيار القاصة الرموز من المتن الثقافي الموروث مثل ما نرى في زمرة الحريم المنتصر كليوباترا ونفرتيتي وعفراء واندرا غاندي ومارلين مونرو وديانا والزبابيث في قصة (بعد الألفية الأولى) وفي قصة (شخبطة على جدار التاريخ) تعقد مقارنة ضمنية بين اغتيال فرج فودة في عام 1992م وبين كل من حرق كتب ابن رشد ومحاكمة الحلاج منذ قرون لأنها تنظر اليهما اعتبارا اغتيال للعقل ومحنة للثقافة العربية .(وفرج فودة –رحمه الله – وصف في زمانه بأنه سلمان رشدي المصري وقد أنكر عليه فضيلة الشيخ محمد الغزالي في قضية اغتياله أمام المحكمة وفي شهادة جلية آراءه وأفكاره المعتلة).

وثالثا من خلال أحداث غرائبية تعبر عن إشكاليات إنسانية تتمثل في محاولتها الهروب من الذات كما في قصة (الظل يحترق) و معاناة الذات من المجتمع وطوائفه المتعددة كما في (رداء) وإحاطة الإنسان بإطار من الأوامر كما في قصة (ستفعلون) ومحاصرة الذات بالقيود ورغبتها بالانطلاق كما في قصة (اكروبات). وفي قصة (السيدة الجليلة) تحدثت المرأة الى نفسها وتنظر الى نفسها بعيون الآخرين حتى تبدلت تصرفاتها وحركاتها ويومياتها وذوقها ومشاعرها برؤية الآخرين ، ووضحت فيها عن رغبة الذات الى متطلبات الزعامة جيدا .ورابعا أنها حاولت أيضا الى تصوير مشكلات عالمية مثل السلطة الذكورية على المرؤة في قصة (القصيدة الأخيرة)، والمحاكمة والعدالة في قصة (العدالة) ، وعبثية الحكام في قصة (دامس والعزباء) ، والقضايا العامة مثل شرب الخمر والفواحش المنتشرة في العالم والزندقة وغيرها حاولت جيدا في قصصها. [12]

فإذن مجموعة " أباطيل " لهدى النعيمي في الواقع حقائق هجائية ناقدة بشخصيات تتعلق وجودها بأوضاع تمنية ، تجعلها تعيش الرغبات كأنها حقائق ، فتجري مع العالم كما تريده أن يكون، وليس كما هو بالفضاء القصصي المجازي . ومع هذا كونت جو غرائبي في تجريدها وبنيتها وشعوريتها كلها مع ما صاغتها بالتجارب الانسانية معتمدا الى التراث الشعبي

[12] د. صبري حافظ ، القصة القصيرة في قطر ببليوجرافيا شاملة ، ص 348-354 بالتبديل

والانساني قديما وحديثا .وتقدمت نصها الأدبي على ابتداع حكائي خاص بشكل فني ورؤية خاصة من نفسها حتى صارت من أروع القصص القطرية .

المصادر والمراجع:-

- د. حمدي السكوت ، قاموس الأدب العربي الحديث ، دار الشروق 2009م

- عبد الحميد تي ،اديبات عربيات معاصرات

- د. صبري حافظ ، د. محمد مصطفى سليم ،ود. إكرامي فتحي حسين ، القصة القصيرة في قطر ببليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي ، مطبعة الريان 2016م

- د. هدى النعيمي، أباطيل ، دار المصرية اللبنانية 2001م

- محصر وردة ،مجلة أنساق ،المجلد الثاني يونيو 2018م ، كلية الآداب والعلوم ،جامعة قطر

- https://mawdoo3.com

-www.startimes.com

- Nouraalsaad.blogs.com